فيسفك دماء من صدر منه ذلك واو اصفت بقتل من فعل شيأ منه او قال به عند لوا
مارقة من بوارق العدل وفي اخفى رائحة من روايح الانصاف **ولست اقول** ان
جميع من اشرت اليه هم على الصفة التي ذكرتها الموجبة لاراقة الدم وازهاق
الروح بل يتظهرين لكل لبعض محذوليهم و يشتغل به اناس من شيا طينهم
والبقية وان كانوا اعا يصد منهم نقمة على العلم واهله فانهم يتعوون الناس
عن علم الشرع ويهونونه في صدورهم ويستصغرون علوم الدين باسرها و
يجذبون من يطمعون فيه الى جهالاتهم وضلالاتهم فهم مستحقون للحيلولة
بينهم وبين كل سبب يتوصلون به الى العلم على كل تقدير كما اشرنا اليه سابقا
مع انزال العقوبة بهم ومسهم بسوط عذاب اذلال لمكن في ذلك
اعزار للدين ورفع لمناره وغسل لما قد لوثوا به اهله من القذر الذي
يلقونه عليهم وينجسونهم به والله المرجو فعنده الخير كله وهو اغير
على دينه واهله واكرم عليه من ان يهان او يضام اهله وفيهم افراد قليلون
يصلحون بتعلم العلم ويتشبهون باهله ويجرون على نمط من يتعلمون منه
وياخذون عنه ان خيرا فخير وان شرا فشر ولكن ما قل من يكون هكذا
منهم **فان قلت** وما هذه الاهلية التي يكون صاحبها محلا لوضع العلم
فيه وتعليمه اياه **قلت** هي شرف المحتد او برح النجار وطهور
الحسب او كون في سلف الطالب من له تعلق بالعلم والصلاح ومعالم الدين
او بمعالي الامور ورفيع الرتب وقد اشار الى هذا النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث
الثابت في الصحيح فقال الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم
في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا فاعتبر صلى الله عليه وسلم الخيار في الجاهلية
وليس ذلك لامر يتعلق بالدين فانه لا دين لجاهل اهل الجاهلية بل المراد
بخيار اهل الجاهلية من كان منهم من اهل الشرف وفي البيوت الرفيعة
فان هذا امر يجذب بطبعه الى معالي الامور وهو يحول بينه وبين الرذايل
و يوجب عليهم اذا دخل فيما امر ان [يكونوا] منه في اعلا محل وارفع رتبة فمتعلم
العلم منهم من يكون في رتبة اهله على اتم وصف واحسن احال غير سامح
بانفه ولا مبال لاحا حصله ولا مترفع على الناس بما نال منه **واما من**
كان من سقط المتاع وسفساف اهل المهن كاهل الحياكة والعصارة[2]
والقصابة ونحو ذلك من المهن الدنية والحرف الوضيعة فانه لاتعاف
الدناءة ولا تجانب السقوط ولا تابى المهانة ولا تنفر عن الضيم **فاذا**
اشتغل مشتغل منهم بطلب العلم ونال منه بعض النيل وقع في امور منها
العجب والزهو والخيلا لانه يرى نفسه بعد ان كان في اوضع مكان واخس
رتبة

٧ يكونوا

٢ يعني الذين يعصرون الزيت من الشجر

٧

ورتبة قاعدا في اعلا محل وارفع موضع فان منزلة العلم واهله المنزلة التي لا تساويها
منزلة وان علت ولا تشابهها رتبة وان ارتفعت **فبينما ذلك** الطالب قاعد بين
اهل حرفته من اهل الحياكة والحجامة او الجزارة او نحوهم في اخس بقعة واعظم
مهانة **اذ صار بين العلماء** والمتعلمين الذين هم في اعلا منازل الدنيا والدين فيحدث
ذلك يحصل له من العجب والتطاول على الناس والترفع عليهم ما يعظم به الضرر على
اهل العلم فضلا عن غيرهم ممن هو دونهم مع ما ينضم الى ذلك من السخف الذي نشأ
عليه وتلقاه من سلفه وسقوط النفس وضعف العقل ونزالة الهمة ومثل تاثير
الصبي لما ينشأ عليه من اخلاق ابائه لا ينكره احد ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه
في الصحيح كل مولود يولد على الفطرة ولكن ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
فاذا كان الصغير يتطبع بطباع الكفر بسبب ابويه فما بالك بساير الاخلاق التي يجد
اهله عليها **ومما يقع فيه هذا الطالب** الناشي بين اهل الوضاعة المرتضع
من ثدي الرقاعة انه يحكم الطبع والف المنشا لا يرى في الناس الا اهل حرفته وبني
مهنته فيعود من حيث بدأ او يرجع من الباب الذي خرج منه فيكون في ذلك من
المهانة للعلم والازرى على اهله والوضع بجانبهم ما لا يقادر قدره لان هذا تارة
الناس تارة في المدارس قاعدا بين ايدي شيوخ العلم مشاركا للمتعلمين و
تارة يرونه في دكاكين الحجامين وحوانيت العصارين ومن جرى هذا المجرى
من المحترفين **ومما يقع فيه** انه بحكم الطبع الذي استفاده من المنشا و
تطبع به من ابويه ومن يماثلهما وان دخل في مداخل العلم وتزيا بزي
اهله تعم العض الناس اليه واحتقرهم لديه لا يقيم لهم وزنا ولا يعترف لهم بفضيلة
بل يكون ديدنه وهجيراه ومغنى كلامه وفحواه هو التهاون بهم وتحقيرهم
ما عظم الله من امرهم والاغرا بين امثالهم والتعرض للمفاضلة بين فضلائهم
وادخال الشحنا بينهم بكل ممكن ومن انكر هذا فعليه بالاستقراء والتتبع
فانه سيجد ما وجدناه ويقف على صحة ما حكيناه ولا يخرج من هوءلاء الا
النادر القليل ولا يكون ذلك الا لعرق ينزعه الى الشرف ويجذبه الى الخير
في سلفه القديم وان جهله من لم يعرفه **وبالجملة** فهذا ما تفيده التجربة
و تشير اليه بعض الادلة الشرعية واذا صح قوله صلى الله عليه وسلم العلم في غير اهله [واضع]
كمقلد الخنازير الجوهر ففيه اعظم عبرة للمعتبرين من الحاملين لعلوم
الدين وقد عزاه بعض اهل العلم الى ابن ماجة ولا استحضره حال الرقم
فيما هو من حفظي من احاديث سنن ابن ماجة فلينظر ثم كشفت عنه فوجدته
في سنن ابن ماجة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة
على كل مسلم وواضع العلم عند غير اهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب

Copyright © King Saud University